Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عن طريق الجنون ـ إلى أقصى ما حققه من نجاح . إذ إن هذا النشيد هو أنجح أجزاء الثلاثية جميعاً ، وأكبرها قيمة فنية وأقربها إلى روح سيتول حيث استطاع فيه أن يلاحم بين إبداعه الخاص ، ومساحة عريضة من مكتسباته الثقافية كالأسطورة الصينية وشعر شكسبير وسيتول ومعارفه في الاقتصاد السياسي عن النهب الاستعماري للدول المتخلفة .

يحاول السياب إذن في هذا النشيد أن يطور في صور سيتول تطويراً يغرب فيه ، فنرى مثل هذه الصورة عن الخليج / الفم المفغور الذي يحاول ابتلاع الشمس حين انفجرت القنبلة الذرية :

وانبحت التربة العجفاء من عطش ... عن أشدق فاغرات تنبح السحبا
والشمس، كالأطلس المسعور تنهشه ، ... والريح تصليه من تنورها لهبا
والريح؟ لا ليست الريح التي ركضت ... بيضاء سوداء رقطاء القفا عجبا
عنقاء في مسعر الجوزاء أعينها ... والصخر يرفض من أظلافها شهبا
تلك الزرافات في السهل العقيم لها ... مَرْعىً رَوَى من سراب ، ينبت السغبا
ما روعتها سوى ضوضاء خشخشة ... في كف أبرص يعدو خلفها خببا

ونتبين كم تلتوي الصورة إلى حد الإحالة وتعجم فلا تبين ، « فالتربة » قد تشققت « من عطش » ، فكانت أشدقاً فاغرات ، تنبح السحب وتنهش الشمس ! ؛ والشمس كالذئب المسعور ، ولا ندري ما فائدة كونها كذلك لصورة هي فيها المنهوشة لا الناهشة . وتأتي الريح الذرية تطارد الشمس وتصليها ناراً ، وهي ريح متعددة الألوان ، سوداء بيضاء رقطاء القفا يحاول السياب أن يقلد صورة البرق لدى سيتول ، فالبرق الذري : « في بياض الخبز ـ في بياض الموت ـ في بياض المخلب » اجتمع له بياض من أشتات متفرقة ، أما الريح الذرية لدى السياب فقد اجتمعت لها ألوان شتى ـ وفارق بعيد بين تكوين الصورتين ، حتى أنه يجعل للريح الذرية « قفا » رقطاء ، وهنا لا بدّ أن تكون الريح طويلة العنق وما دامت عنقاء رقطاء القفا فهي زرافة ، وهذه آفة التوليد العقلي المجرد ، فالزرافة حيوان مسالم ، آكل للعشب ، ليس كالنمر السيفي أو الديناصور لدى سيتول، إلاّ أن السياب يجعل منها وحشاً خرافياً ـ لا تؤهلها طبيعتها لتكونه ـ ترعى مرعى وبيلا يرتوي من السراب وينبت الجوع ، ويحدوها « أبرص » في مرعاها ، يخشخش لها بالقعقعة الذرية فتجفل ، ويَرْفَضّ الحصا تحت أظلافها شهباً متقدة وعندما يكون الهول الذري مجرد خشخشة وراء حيوانات خرافية ترعى الفضاء الكوني تنفصل الصورة عن عمقها المأساوي المرتبط بصرعاها من الاخوة البشر . وتكون تشكيلاً عقلياً بارداً لا يحفز القارىء لاتخاذ موقف معاد لأعداء البشرية ، كما فعلت صورة كونغاي العذراء ، التي تلقي بنفسها في الأتون المشتعل قرباناً لحياة أبيها المقهور .